درامي للمسافة والفارق الذي يفصل بين ما هو قريب منه وبعيد عنه · وهذا ينطبق ايضا على الشعور الذي يساورنا احيانا باننا قد نكون اكثر انسجاما وجدانيا مع القرن السادس عشر او في جزر تاهيتي ·

ولكن من الخطأ ان ندعي بان كل ما نعرفه في الزمان والمكان او بالاحرى في التاريخ والجغرافية يتسم بطابع تخيلي ، فهناك في اوروبا والولايات المتحدة تاريخ وضعي وجغرافية وضعية حققتا انجازات يشار اليها بالبنان · فالباحثون يعرفون اليوم اكثر مما كانوا يعرفون في زمن « جيبون » Gibbon على سبيل المثال · ولكن هذا لا يعني انهم يعرفون كل ما يمكن معرفته او ان ما يعرفونه ـ وهذا أشد خطورة ـ قد ازال فعليا المعرفة التخيلية للتاريخ والجغرافية كما عرضتها · ولا داعي هنا لاتخاذ قرار حاسم فيما اذا كان هذا النوع من المعرفة التخيلية قد ساهم في احياء التاريخ والجغرافية او في تخطيهما ولنكتفي بالقول في الوقت الراهن بان هناك مادة **اضافية** لا يغطيها مضمون المعرفة الوضعية ·

ولقد كان الشرق في نظر اوروبا ومنذ اقدم العصور غير محصور فيما هو معروف عنه فعليا · ولقد اوضح « ر·و· سوثرن » كيف ان الفهم الاوروبي لنوع معين من الحضارة الشرقية وهي الحضارة الاسلامية حتى بداية القرن الثامن عشر (على الاقل) كان ينم عن الجهل بالرغم من اتسامه بالتعقيد · ويبدو ان فكرة الشرق قد استقطبت عددا من المفاهيم التي تجمع بين الاستنارة والجهل· فلنتناول اولا مسألة الحدود الفاصلة بين الشرق والغرب التي تبدو واضحة حتى في زمن **الاليادة** · فيظهر العنصران البالغا التأثير والمرتبطان بالشرق في اقدم مسرحية اثينية وصلتنا وهي **الفارسيون** لـ « اسخيلوس » وفي اخر مسرحية وصلتنا من اثينا وهي **كاهنات باخوس** لـ « يوريبيدس » ويصور اسخيلوس نكبة الفرس عندما بلغهم ان جيشهم بقيادة الملك خيرخس قد دحره اليونانيون · وتغني الجوقة المقطع التالي :

اليوم تئن ارض آسيا المقفرة

قاد خيرخس قواته اه ثم اه

قهر خيرخس ! ويلاه ويلاه

وخططه كلها احبطت

ومراكب البحر دمرت

فلماذا لم ينقهر جنود داريوس

زعيم الرجال الحبيب من بلاد سوس عندما قادهم في المعركة ؟